نساء الطريق الآخر

شهادات نساء أمريكيات اعتنقن الإسلام*

عبدالقادر بوطيبة

هذا كتاب أمريكي يقدّم، كما هو واضح من عنوانه، شهادات نساء أمريكيات اعتنقن الإسلام، حررته أمريكية مسيحية أصيبت بالفزع لما تحولت ابنتها "جودي" إلى الإسلام، حيث رأت في هذا التحول حادثا غريبا حرّك فيها الاهتمام بهذا الدّين، وحاولت أن تعرف لماذا اندفعت هاته الأمريكيات المسيحيات إلى هذا الدّين "الغريب". كل هذا قبل أن تشكر هذه الأمريكية من أعماق قبلها "ابنتها جودي" التي فتحت أمامها آفاقا جديدة، وساعدها على النظر إلى العالم من زاوية مختلفة، على حد قولها.

فكرة الكتاب إذن جاءت من منطلق هذه الصدمة التي تعرضت لها المؤلفة ومن خلال رصد تجربة 53 إمرأة أمريكية تحولت من المسيحية إلى الإسلام، برغبة منهن، واقتناع بهذا الدّين السمح.

يحتوي الكتاب الذي ترجم إلى الفرنسية من الإنجليزية على عشرة فصول وملحقين وفهرسا وقاموسا للمصطلحات الإسلامية، ومراجع. أجمل ما في كلمة الإهداء هذه العبارة : "*هناك رغبة تدفعنا للوقوع تحت تأثير العناوين الضخمة والتحقيقات الصحفية اليومية التي تغذي مخاوفنا*

---

*كتاب لـ كارول. ل.أنوي. ترجم من الأمريكية إلى الفرنسية من طرف روبي ريفار، مكتبة السلام (باريس)، ودار العتيق للنشر، (كندا) 1999.

وتعمق الأحكام المسبقة الخاطئة أحيانا". فمن هذه المحاولة الجريئة للخروج من تحت تأثير ما تكتبه وتبثه، هذا العمل المنفرد الذي يستحق الترجمة إلى اللغة العربية.

يقدّم الكتاب، شهادات 53 امرأة أمريكية أصيلة اعتنقن الدّين الإسلامي، ويعطي تفاصيل عن حياتهن الجديدة في ظل الإسلام، وكيف أصبحن سعيدات وهن يعشن مبادئه ويمارسن تعاليمه. وأكدت أكثر من واحدة أنها وجدت مبادئه "ساحرة". في البداية، تتحدث المؤلفة عن المظهر الخارجي للنساء الأمريكيات، وما يثيره مظهر الحجاب خاصة في الشارع الأمريكي من فضول بل ونظرات مستنكرة تنم عن الأحكام المسبقة، والعبارات الجاهزة "كالإرهاب، أو الأصولية" أو "الغرابة" أو "البترول" بل أن وجود هؤلاء النسوة المسلمات يثير الإنزعاج أحيانا كثيرة، وسط المجتمع الأمريكي، رغم اختلاف ألوانه وعقائده ومذاهبه وأصوله وأجناسه! وهذا قبل أن تتركهن المؤلفة السيدة **كارول أنوي** يتحدثن بأنفسهن عن إسلامهن، وهواجسهن ونظرة الآخرين والأخريات من الأمريكيين والأمريكيات إليهن، مع أنهن أمريكيات مثلهن أصلا وفصلا، تنشئة وتربية، اخترن فقط الإسلام طريقا في الحياة.

وإذا لم يستطع أي أحد أو جهة أن تحدد بالضبط عدد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية فإن التقديرات تشير إلى وجود ما بين 6 إلى 8 ملايين مسلم بما فيهم الأمريكيون الذين اعتنقوا الإسلام، وهو الشيء الذي يضع الإسلام في الرتبة الثانية بعد المسيحية في الولايات المتحدة

الأمريكية بيمنا لا يتجاوز عدد أتباع الديانة اليهودية خمسة ملايين ونصف المليون (5.5).

ويعد تاريخ الإسلام في هذا البلد محدودا للغاية، حيث شهدت أمريكا ثلاث موجات من هجرة المسلمين إليها، الأولى بدأت عام 1875 مع وصول العمال الأجانب إليها، والموجة الثانية حدثت عام 1930، وهي الهجرة التي وضعت الحرب العالمية الثانية حدّا لها، أما الثالثة فوقعت في الخمسينات والستينات. وكان من بين هؤلاء المهاجرين المثقفون والمتعلمون، بعضهم هاجر إلى أمريكا لاجئا سياسيا والبعض جاء إليها طلبا للعلم.

وتستخلص الكاتبة عند هذا الحد من المعلومات أول نتيجة مفادها أن البلدان الغربية التي ظلت إلى الآن، بلدانا مسيحية يهودية، عليها أن تُدخل في حسبانها أنها إسلامية كذلك.! بدليل أن عدد المسلمين آخذ في التزايد يوما بعد يوم، وخاصة في الجزء الغربي من أمريكا حيث بدأ الحديث عن الإسلام يتصدر الصفحات الأولى للجرائد، والعناوين الأولى لنشرات الأخبار باعتباره حدث الساعة. إن انتشار الإسلام، على حد قول المؤلفة، بات الآن قضية معاصرة وجادة بالنسبة لجميع سكان أمريكا الشمالية حتى وإن كانت الغالبية من هؤلاء لا يعرفون سوى القليل عن تاريخ الإسلام ومبادئه.

ومادامت تجربة الكاتبة مع الإسلام ممزوجة بتجربة ابنتها المسلمة التي صارت ترتدي الزي الإسلامي وتطبق شعائره كاملة، بما في ذلك صوم شهر رمضان، بدأت الوالدة "تقدّر قوة والتزام ابنتها المسلمة

وصديقاتها الأمريكيات المسلمات" وهو حكم توصلت إليه بعد سنوات من الأسى والحزن الذي عمّ على عائلة جودي التي أسلمت وكان إسلامها بمثابة الصدمة التي فاجعت العائلة كلها.

ولمعرفة وضع النساء المسلمات الأمريكيات الجديدات وكيف يفكرن ولماذا اخترن الإسلام، وتحولن عن دينهن السابق، وزعت المؤلفة جملة من الأسئلة عليهن، وتلقت إجابات 53 امرأة من مجموع 350 استمارة وزعتها خلال المؤتمرات وعبر البريد. وجاءت ردود المسلمات الجديدات من مختلف أنحاء البلاد من "أوكلاهما" إلى "كاليفورنيا" ومن "واشنطن" إلى "تكساس" ومن "بنسلفانيا" إلى "فيرمونت". وتتفاوت درجة تكوينهن من الحصول على دبلوم ثانوي إلى شهادة الدكتوراه، حيث تحمل 53٪ منهن شهادة البكالوريا وما فوقها و35٪ حاصلات على البكالوريا و12٪ و6٪ طبيبا أو حاصلات على دكتوراه دولة في حين كانت 7 نساء منهن يواصلن دراستهن الثانوية ومصممات على الذهاب بعيدا في دراستهن أثناء إجراء هذا الاستطلاع.

أما عمرهن، فكان يتراوح ما بين 20 إلى 47 سنة، 40٪ في العشرين من العمر و48٪ في الثلاثين و12٪ في الأربعين، وتاريخ إسلامهن يتراوح بين ستة أشهر إلى 22سنة، تعمل منهن حوالي 47٪ خارج البيت في مدارس عمومية و11٪ سجلن أولادهن في مدارس خاصة غير إسلامية و26٪ فضلن تعليم أولادهن بأنفسهن. إن 90٪ من المسلمات اللائى شملهن الاستطلاع متزوجات، بعضهن بمسلمين من أصل عربي، "يعشن حياة زوجية سعيدة" وهن شديدات الارتياح بوضعهن " كنساء مسلمات

متزوجات داخل محيطهن الإسلامي" فقط، والقليل منهن مطلقات أو أرامل أو لم يتزوجن بعد.

الشهادات الواردة في الكتاب، تشمل جل صفحاته. قالت أغلبهن أن أكبر سعادة لهن في الحياة "اكتشافهن الإسلام". والمثير في الموضوع أن الأمريكيات، وإن لم يكنّ يترددن جميعهن على الكنيسة فإن الكثيرات منهنّ تربين في أحضانها ومتشبعات بتعاليمها، كما نشأن وسط مجتمع مادي استهلاكي لا يكاد يعرف شيئا عن حقائق الإسلام ومبادئه وتسامحه.

دعوة هاته النساء إلى المجتمع الأمريكي دعوة إلى الفهم والقبول بالاختلاف: "*أتروكونا نعيش ديننا، نحن بشر مثلكم، نحب الخير والسلم، لم يكرهنا أحد على القبول بالوضع الذي نعيشه*".. نعم إنها شهادات مثيرة لنساء فضلن الإسلام على ما سواه، وأدرن ظهورهن لمباهج الحياة الأمريكية من أجل ذلك .